عن ذكر ظهر آدم لما علم انهم كلهم بنوه واخرجوا من ظهره فالمخرج من ظهورهم
مخرج من ظهره وقولهم له شهدنا اي على انفسنا بذلك وانما اشهدهم
على انفسهم كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا اي التوحيد
غافلين اي لعدم الادلة فلذلك اشركنا وقوله تعالى او تقولوا اي لو
لم نرسل اليهم الرسل عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو بالياء على الغيبة
والباقون بالتاء على الخطاب انما اشرك اباؤنا من قبل اي قبل ان نوجد
وكنا ذرية من بعدهم اي فلم نعرف لنا مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشغلنا
اتباعهم عن النظر ولم ياتنا رسول منبه فتسبب عن ذلك انكارهم
في قولهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اي من ابائنا قال ابو حيان
والمعنى ان الكفرة لو لم يوخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول يذكرهم بما تضمنه
العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان احداهما كنا غافلين
والاخرى كنا تبعا لاسلافنا فكيف والذنب انما هو لمن طرق لنا واضلنا
فان قيل كيف يكون ذكر الميثاق عليهم حجة فانهم لما اخرجوا من
ظهر آدم لم يركب فيهم العقل واخذ عليهم الميثاق اجيب بان التذكير
به على لسان صاحب المعجزة قايم مقام ذكره في النفوس وبذلك كانت
الحجة عليهم يوم القيمة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا
فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة
بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات
الباهرات والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود مقتضى
الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم
بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم من التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال تعالى وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البديع بعيد التنبيه الرفيع
نفصل الايات اي كلها التي لا يدعى احد ما لا يليق بجنابه جهلا لعدم الدليل
ولعلهم

ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل اي يا محمد عليهم اي
اليهود نبأ اي خبر الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها اي خرج بكفره كما تخرج
الحية من جلدها وهو بلعم بن باعورا من علماء بني اسرائيل وقيل من
الكنعانيين سئل ان يدعو على موسى واهدي له شيء فدعا فانقلبت
عليه واندلع لسانه على صدره فاتبعه الشيطان اي لحقه وادركه
وصيره قرينا تابعا له في معصية الله تعالى بمخالفة امر ربه فاطاع
الشيطان وهواه فكان من الغاوين اي الضالين الهالكين وقصته
٤٢٩ على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ان موسى عليه السلام لما
قصد حرب الجبارين ونزل ارض بني كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعم
وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جند
كثير وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانت
رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله تعالى ان يرده عنا فقال ويلكم
نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من
الله ما لا تعلمون واني ان فعلت هذا ذهب دنياي واخرتي فراجعوه
والحوا عليه فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به
في المنام فوامر في الدعاء عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقال
لقومه اني قد وامرت ربي واني نهيت ان ادعو عليهم فاهدوا اليه
هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يوحى اليه بشيء
فقال قد وامرت ربي فلم يامرني بشيء فقالوا لو كره ربك ان تدعو عليهم
لنهاك كما نهاك في المرة الاولى فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه
فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل
يقال له حسبان فما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل عنها
وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها فاذن

Copyright © King Saud University